الصاعقة الثالثة والستون: في الخدّ أن عزم الخليط رحيلا(*)

في الخدّ أن عَزَمَ الخليطُ رحيلا ... مطرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحُولا

يا نظرةً نفتِ الرُّقادَ وغادرتْ ... في حدّ قلبي ما حييتُ ذُلُولا

كانتْ من الكحلاءِ سُؤلي إنما ... أجلي تمثّلَ في فؤادي سُولا

أجدُ الجفاء على سواكِ مُرُوءةً ... والصبرَ إلا في نواكِ جَميلا

وأرى تدلُّلكِ الكثيرَ مُحبَّبًا ... وأرى قليلَ تدلُّلٍ مملُولا

حدقُ الحسانِ منَ الغواني هجنَ لي ... يومَ الفراقِ صبابةً وغَليلا

حدقٌ يُذمّ من القواتلِ غيرُها ... بَدرُ بنُ عمّارِ بنِ إسماعيلا

الفارجُ الكربَ العظامَ بمثلِها ... والتاركُ الملكَ العزيزَ ذليلا

محكٌ إذا مطلَ الغريمُ بدينه ... جعلَ الحسامَ بما أرادَ كفيلا

نطقٌ إذا حطّ الكلامُ لثامَهُ ... أعطى بمنطقِهِ القلوبَ عُقُولا

أعدى الزّمانَ سخاؤهُ فسخا به ... ولقدْ يكونُ به الزمانُ بخيلا

وكأنّ برقًا في متونِ غمامةٍ ... هنديُّه في كفِّه مسلُولا

ومحلُّ قائمِهِ يسيلُ مواهبًا ... لو كنَّ سيلاً ما وجدْنَ مَسيلا

(*) مناسبة القصيدة: خرج بدر بن عمار إلى أسد فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر، فهاجمه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل، فوثب إلى كفل فرسه، فأعجله عن استلال سيفه فضربه بالسوط ودار به الجيش، فقال أبو الطيب هذه القصيدة.

رقّتْ مضاربُه فهنّ كأنما ... يبدينَ منْ عشقِ الرّقابِ نُحُولا

أمعفِّرَ الليثِ الهزبرِ بسوطِه ... لمن ادّخرتَ الصارمَ المصقُولا[١]

وقعتْ على الأردنّ منه بليةٌ ... نضدتْ بها هامُ الرفاقِ تُلُولا

وردٌ إذا وردَ البحيرةَ شاربًا ... وردَ الفراتَ زئيرُهُ والنّيلا

متخضّبٌ بدمِ الفوارسِ لابسٌ ... في غيلِه من لبدتيهِ غِيلا

ما قُوبلتْ عيناهُ إلا ظنّتا ... تحتَ الدّجى نارَ الفريقِ حُلُولا

في وحدة الرّهبانِ إلا أنهُ ... لا يعرف التحريمَ والتّحليلا

يطأُ الثرى مترفقًا من تيهِه ... فكأنه آسٍ يجُسّ عَليلا

ويردُّ عُفرتَهُ إلى يافوخِه ... حتى تصير لرأسه إكليلا[٢]

وتظنّهُ مما يُزمجرُ نفسُهُ ... عنها لشدةِ غيظه مشغُولا

قصرتْ مخافتُه الخطى فكأنما ... ركبَ الكميُّ جوادَه مشكُولا[٣]

ألقى فريستَه وبربرَ دونَها ... وقربْتَ قربًا خاله تَطفيلا

فتشابهَ الخلقانِ في إقدامِه ... وتخالفا في بذْلكَ المأكُولا

أسدٌ يرى عضويه فيك كليْهما ... متنًا أزلَّ وساعدًا مفتُولا

في سرْجِ ظامئةِ الفصوصِ طمرّةٍ ... يأبى تفرُّدها لها التّمثيلا[٤]

---

(١) عفّره: مرّغه بالتراب. الهزبر: الضخم الشديد. (٢) العفرة: شعر القفا. اليافوخ: ملتقى عظم مقدم الرأس.
(٣) المشكول: المقيد بالشكال. (٤) ظامئة الفصوص: دقيقة المفاصل. الطمرّة: الوثابة.

نيَّـــالة الطلبـــاتِ لولا أنهـــا ... تُعطي مكانَ لجـامِـهـا مَـا نِيـلا
تندَى سوالفُها إذا استحضرْتَها ... ويُظنّ عـقـدُ عنانِهـا مَـحلُولا
مـا زالَ يجـمعُ نفـسَـه في زورِه ... حـتى حسبتَ العرضَ منه الطّولا
ويدقّ بالصـدرِ الحـجـارَ كـأنَّهُ ... يبغي إلى ما في الحضيضِ سَبيلا
وكـــأنّهُ غـــرّتهُ عينٌ فـــادّنى ... لا يُبـصـرُ الخطبَ الجليل جَليـلا
أنفُ الكريم من الدّنيـئَـةِ تارِكٌ ... في عـينهِ العـددَ الكثـيـرَ قَليـلا
والعـارُ مـضّـاضٌ ولَيسَ بخـائفٍ ... من حـتْـفِـهِ منْ خـافَ مما قِـيـلا
سـبقَ التـقـاءكـهُ بوثبـة هاجمٍ ... لو لمْ تُصـادمْـهُ لجـازكَ مِـيـلا
خـذلَتْـهُ قـوتُهُ وقـدْ كـافـحـتَـهُ ... فـاستنصرَ التسليمَ والتّجْديلا
قـبـضتْ منيـتُـهُ يديْه وعُنقـهُ ... فكأنما صـادفْـتَـه مَـغْلُولا
سـمعَ ابنُ عـمَّـتِـه به وبحـالِه ... فنجـا يهـرولُ أمسِ منكَ مَـهُـولا
وأمَـــرُّ مما فـــرّ منهُ فـــرارُهُ ... وكـقـتلِه أنْ لا يموتَ قَـتـيـلا
تلفُ الذي اتخـذَ الجـراءةَ خُلّةً ... وعظَ الذي اتخـذَ الفـرارَ خَليـلا
لو كـانَ علمُكَ بالإله مـقـسَّـمًـا ... في الناس مـا بعثَ الإلهُ رَسُـولا
لو كـان لفظك فـيـهم مـا أنزل الـ ... ـفـرقـانَ والتـوراةَ والإنجـيـلا
لو كـانَ مـا تُعطيـهمُ منْ قـبلُ أن ... تُعطيـهـمُ لم يعـرفُـوا التّأمـيـلا
فلقدْ عُرفتَ وما عُرفتَ حقيقةً ... ولقدْ جُهلت وما جُهلتَ خُمُولا

نطقتْ بسؤددِكَ الحمامُ تغنّيًا وبما تجشّمَها الجيادُ صَهيلا
ما كلّ من طَلَبَ المعالي نافِذًا فيها ولا كلّ الرّجالِ فُحُولا

obeikandl.com